

الملاحم المعمارية والتخطيطية لمدينة درنة (المنطقة المركزية)

د.ناصر الشمري

عبدالرحيم حسين

المقدمة:

تمتاز مدينة درنة بملاحم تخطيطية ومعمارية مميزة كغيرها من المدن العربية والاسلامية في الغرب العربي وشمال افريقيا , فاتخذت اسواقها ومحلاتها اشكالا مختلفة ومتعددة وانماطا بنائية ضمن النسيج العمراني للمنطقة التجارية المركزية . فكان اللقاء بين الوظائف التجارية والحرفية المتنوعة والمتعددة والمستهلكين ضمن رقعة مكانية تبدأ بالاسواق القديمة المتمثلة بسوق الظلام ووكالة الحصادي وسوق الخضار وجامع العتيق وساحة الجامع والساحة الحمراء وساحة الخرازين. ثم نمت عمرانها بشكل خطي نحو محاور تجارية ارتبطت بمحاور توسع المدينة. وتمثل الاسواق القديمة الارث الحضاري التخطيطي والمعماري المرتبط بالمؤثرات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية المحلية . فشكلت ظاهرة ارتبطت ارتباطا وثيقا بالبعد التجاري للمدينة ببعديها الديموغرافي والمكاني العمراني. ويعكس مدى ارتباطها وتأثيرها بشكل فاعل في نمو نمط العمران وتطوره من النمط المكتظ المتراص الى النمط الخطي الشريطي ثم نحو استخدام البعد الثالث مع تطور ونمو المدينة العمراني ومؤسساتها التجارية التي اخذت الدور المهم والفاعل في المدينة العربية والاسلامية لما اولته المبادئ الاسلامية من احترام للعمل التجاري . فاتخذت المنطقة التجارية المركزية لمدينة درنة ملامحها الخاصة المميزة عن المناطق الاخرى لما تتطلبه من تأمين محاور لحركة المتبضعين للحصول على حاجاتهم من الوظائف التجارية المطلوبة كالاسواق ومحلات الحرفيين والفنيين لسكان المدينة ومنطقة تأثير نشاطها التجاري والتسويقي حيث توضحت خصائصها الاساسية فضلا عن المزايا العامة المرتبطة ببعدها السكاني . ومن الملاحم المميزة للمدينة كغيرها من المدن العربية والاسلامية تواجد انماط من الاسواق كالقصرينات والوكالات واسواق الازقة الضيقة وظاهرة المحاور التجارية . ويتناول البحث اهم الخصائص والمميزات التي تميزت بها المدينة عن غيرها والتي حددت ملامحها وسماتها المميزة.

مشكلة البحث

عدم توفر الدراسات التخطيطية والمعمارية والتخطيطية والتحليلية التفصيلية لملاحم المدينة وملاحم المنطقة التجارية المركزية لمدينة درنة التي تتناول تحديد ملاحمها وطابعها التخطيطي والعمراني المميز المرتبط بتطورها التاريخي .

هدف البحث

التعرف على ملاحم التكوينات الشكلية والدلالات التخطيطية والمعمارية المحددة لملاحم المدينة والمنطقة التجارية المركزية لمدينة درنة للاستفادة منها وتوظيفها لابرار هويتها المميزة وتحديد المفاهيم والمبادئ التخطيطية والمعمارية التصميمية لمعالجة المشاكل المستقبلية للتوزيع الوظيفي لتحقيق بيئة عمرانية آمنة لها طابعها المكاني والزمني المميز المرتبط بارثها الحضاري.

اسلوب البحث

اعتمدت الدراسة الاسلوب التحليلي للمعلومات فضلا عن استخدام مبدأ مقارنة المعلومات التي تم توثيقها عن المنطقة التجارية المركزية وأنماط الابنية التي احتوتها . وتم جمع المعلومات عن مواطني المنطقة والزيارة الميدانية للباحث الى الابنية الاثرية والتاريخية والاسواق والابنية التجارية ضمن مركز المدينة والاتصال بالجهات المسؤولة لتوثيق المعلومات .

نبذة تاريخية

تتخذ مدينة درنة بتاريخ حافل بوقائع وخصائص تفاعلت مع المعطيات المكانية الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية ورسمت طابعها العمراني المميز المرتبط بواقعها التاريخي والانساني ، واهم المميزات التي اثرت في رسم ملاحمها وملاحم المنطقة المركزية يمكن تلخيصها بلاتي :-
اولا : وقوعها بين البحر والجبل بوادي خصب لساحل البحر الذي تقع عليه المدينة مما اعطى المدينة تكوينا عمرانيا مميزا اذ نما وتطور هيكلها العمراني بشكل شريطي خطي على امتداد ساحل البحر . ولقد نشأت المدينة على جانبي وادي درنة وكذلك مركزها سوق الظلام والجامع العتيق متخذة الشكل المربع . ثم اتسعت الى الجانب الاخر من الوادي جامع الصحالة وسوق الصحابة . ولتميز المدينة بوفرة مياهها العذبة لشلالها الذي كان يسيل الى وادي درنة وابارها العذبة مما جعلها تتميز باراضي زراعية كانت تحيط بالمدينة من الغرب والشرق وتمتد عبر

الوادي . فالنسيج العمراني للمدينة القديمة جاء بنمط عضوي وبمخطط خطي طولي شريطي لمركز المدينة بشوارعها الضيقة غيرالمستقيمة والمتعرجة بعض الاحيان .وظهرت ملامح ومعالم جديدة نتيجة لدخول السيارة واتساع رقعة المدينة مما اضاف اسسا ومعايير جديدة لمعالجة النسيج العمراني للمدينة .

ثانيا: معالمها التاريخية حيث مسجد الصحابة من اشهرمعالمها الذي يعود الى بداية نشر الدعوة الاسلامية واستشهاد الصالحين الجليل زهير البلوي وسبعون من رفاقة عام 687 ف. عند عودتهم من فتوحاتهم في شمال افريقيا لنجدة درنة . لقد نشأ مركزها عند مسجد العتسق ثم اتسع نحومسجد الصحابة وسوق الصحابة الجديد مما جعله متميزا عن غيره لدلالاته الدينية والتاريخية التي رسمت تخطيط المنطقة وعمارتها المتميزة .

ثالثا : لقد انجبت المدينة فقهاء وعلماء وشعراء وفنانين عرفوا بعطائهم الثقافي واثارهم المميزة بتاريخ المدينة .

رابعا : تعد المدينة القديمة تراثا مهما للجماهيرية العربية الليبية العظمى .

الموقع الجغرافي

تقع مدينة درنة على شاطئ البحر الابيض المتوسط السهل الاخضر الخصب ذي النشاط الزراعي والمراعي الخصراء. تبعد المدينة عن مدينة بنغازي مسافة 300 كم الى جهة الغرب , وعن مدينة البيضاء مسافة 100 كم. . والى الشرق منها تبعد مدينة طبرق بمسافة 175 كم يحدها من الشمال البحر ومن الجنوب الجبل الاخضر ويخترقها وادي درنة الممتد الى مسافة 100 كم جنوبا محاط بسلسلة متصلة الحلقات من المناظر الطبيعية والذي يزودها بالماء العذب للزراعة والشرب شكل رقم (1) .

ملامح التطور العمراني لمدينة درنة

تميزت مدينة درنة عن سائر المدن الليبية. فكان لموقعها الجغرافي وطوبوغرافيتها اثر كبير في تحديد عمرانها ومحاور توسعها . فقد نشأت المدينة على جانبي وادي درنة وساحل البحر والجبل ثم اتجة عمرانها نحو محوري الاتصال درنة - البيضاء - بنغازي من جهة الغرب ودرنة وطبرق من جهة الشرق لترتبط بمصر ولكونها تطل على البحر جاء تكوينها الشكلي شريطي خطي مواز لساحل البحر ثم اتسعت نحو الجنوب باتجاه الجبل لتستغل الاراضي الصالحة للعمران للحد الاعلى الذي امكن استغلاله فكان لموقعها اثرا فاعلا في تحديد تكوينها التخطيطي الشكلي العام لهيكلها العمراني المميز . ولقد تميز سهلها الساحلي الذي امتد لة العمران بمناطق

واضحة المعالم والحدود مما ميز المنطقة عن المناطق الاخرى . فمنطقة مركز المدينة التي امتدت من وادي درنة الى حدود نادي دارنس غربا الحد الفاصل بين المدينة القديمة والساحل الغربي الى البحر شمالا والى محلة شيحا الشرقية جنوبا المرتفعة عنها بحدود واضحة ومحددة . اتسعت المدينة القديمة باتجاه نادي دارنس والاراضي الزراعية . ومن ثم توسعت نحو منطقة بني منصور التي يحدها وادي درنة غربا والبحر شمالا وباب طبرق جنوبا الى الوادي شرقا وترتفع المنطقة المحاذية لطبرق عن شارع الصحابة بـ 35 م .

إن منطقة باب طبرق التي تحدها بني منصور شمالا ووادي درنة غربا والجبل جنوبا ووادي (بني منصور) شرقا الموازي له طريق درنة - طبرق ، تمثل المنطقة الاعلى لمدينة درنة اذ يتجاوز ارتفاعها 60 م عن مستوى سطح البحر . ومنطقة الساحل الشرقي الذي تبدأ حدودها بوادي بو منصور غربا والبحر شمالا والجبل جنوبا ويمتد سطحه شرقا حيث تتواجد مساحات من الارض صالحة للتوسع العمراني للمستقبلي للمدينة ويتميز بانحدار ارضه الواضح تجاه البحر . ثم منطقة الساحل الغربي مدخل مدينة درنة الغربي الذي يصلها بمدينة بنغازي والبيضاء يحدها من الشمال البحر ومن الجنوب منطقة شيحة الغربية التي ترتفع عنها بشكل حاد ومن الشرق المدينة القديمة ومن الغرب يحدها وديان وارض مرتفعة لا تصلح للعمران وتتميز بارتفاعها القليل عن سطح البحر وترتفع باتجاه منطقة شيحة الغربية . ومنطقة شيحة الشرقية والتي ترتفع بشكل حاد وواضح عن المدينة القديمة التي تحدها من الشمال والجبل من الجنوب ووادي درنة من الشرق وشيحة الغربية من الغرب ، ثم منطقة شيحة الغربية التي تقع الى الجنوب الغربي من المدينة القديمة يحدها الجبل من الجنوب وشيحة الشرقية من الشرق والساحل الشرقي من الشمال في حين يحدها من الجنوب وديان وارض جبلية وعرة لا تصلح للعمران .

وهكذا فقد تميزت المدينة بمناطق محددة مميزة بمستوياتها المختلفة التي ترتفع كل منها عن الاخرى بمستوياتها المختلفة التي ترتفع كل منها عن الاخرى بمستويات مختلفة عن سطح البحر ولكل منها مساحة مكانية محددة بتكوين شكلي متميز وفق طوبوغرافية الارض فجاءت المدينة بامتداد شريطي خطيا طولي مواز لساحل البحر بشكل عام شكل رقم (2) .

الطابع العمراني لمدينة درنة والمنطقة المركزية :

تميزت المدينة القديمة والمنطقة المركزية بطابع عمراني خاص بها اذ اعتمد عمرانها الفناء الداخلي مغلقا عن الخارج ومنفتحا نحو الداخل وتأثر نسيجها العمراني بمتطلبات موقع المدينة الذي تطلب اتساعا عمرانيا خطيا طويلا موازيا لساحل البحر لملائمة طوبوغرافية الارض التي يتجه انحدارها نحو البحر الذي يتطلب انفتاح شوارعها باتجاهه لتصريف الامطار والانفتاح نحو الساحل فجاء نمطها التخطيطي الشبكي المتعامد المستطيل الشكل المتوازي والمتعامد لساحل البحر ووادي درنة على حد سواء والذي تميزت به منطقة الساحل الشرقي وشيحة الشرقية والغربية والساحل الغربي وعلى الرغم من اعتماد بعض المعالجات التفصيلية التي اعتمدت النمط الشبكي الشطرنجي لتأمين شارعين لكل قطعة سكنية او لتأمين سهولة تصريف مياه الامطار والحركة العمودية على المحاور الرئيسة الموازية لساحل البحر كما في شيحة الغربية والشرقية والساحل الشرقي. وتميزت المنطقة المركزية بمحاورها المتعددة التي نمت بنمط خطي شريطي طولي باتجاه محاور توسع المدينة العمراني شكل رقم (3) كشوارع عمر المختار الذي احتوى على محلات متنوعة لبيع الاجهزة الكهربائية والادوات الاحتياطية والغذائية والمكتبات ومحلات الاستنساخ والتصوير وغيرها من المحلات المنزلية والمقاهي والمخابز، وهكذا بالنسبة لمحور شارع البحر وشارع حشيش وشارع الفنار وشارع الصحابة ومحور المدينة وشارع الجيش وشارع احمد الرفاعي. كلها اضحت محاور تجارية تستغل الواجهة المطلة عل الشارع بالطابق الارضي للاستخدام التجاري والطوابق الاخرى للشقق السكنية بشكل رئيس.

الملامح التخطيطية والمعمارية للمنطقة المركزية التجارية لمدينة درنة :

يمكن تحديد اهم الملامح التخطيطية والعمرانية التي تميزت بها المدينة والمنطقة المركزية لمدينة درنة بالاتي :-

- 1 - جاء نمط النسيج العمراني للمنطقة المركزية نمطا عضويا متضامنا متلائما والظروف المناخية المكانية . شكل رقم (4)
- 2 - ارتباط السوق الرئيسي للجامع العتيق والساحة العامة.
- 3 - تخصص السوق الرئيس الوظيفي واتساع المركز لمحاور متعددة تتجه نحو محاور التوسع العمراني للرقعة المكانية لهيكل المدينة وبشكل شريطي.
- 4 - ضم المركز التجاري انماط متعددة من النسيج العمراني والعمارة التجارية كالعامة التاريخية لوكالة الحصادي والسوق المسقف واسواق الازقة والعمارة الحديثة التجارية بمحاور التوسع والابنية المطلة على الساحل.

- 5 - اعتماد الساحة بالمنطقة المركزية التجارية وتعددتها وتغير ابعادها كساحة جامع العتيق والساحة الحمراء وساحة الخززين وغيرها من الساحات في حين اعتمدت المحاور التجارية فضاء الشارع فجاءت المعالجات مراعية لمحدودية الحيز المخصص للسوق ، والمبادئ التسويقية كالعرض والخزن .
- 6 - تميزت المنطقة التجارية المركزية باستغلال الطابق الارضي للاسواق في عموم المنطقة ومحاورها اذ لم تتواجد في الطوابق الاخرى ولم تظهر اي بادرة نحو اعتماد البعد الثالث مما ادى الى انتشار الرقعة المكانية للمنطقة التجارية .
- 7 - جاءت معالجة المحلات التجارية دون الارتداد عن فضاء رصيف الشارع الذي لم يفي بمتطلبات حركة السابلة والتسوق من قبل المتسوقين مما جعل حركة المرور بطيئة وغير امنة ولا تفي بمتطلبات المنطقة المركزية . وخاصة بعد ازدياد عدد السيارات والحاجة الى مواقف لها التي يصعب توفرها ويتضاعف عددها بين حين واخر متزامنة والتوسع العمراني والنمو السكاني للمدينة.
- 8 - تميزت ملامح الفناءات الخاصة بالشوارع بصفتها الغير منتظمة الابعاد لعدم تحديد ضوابط لها تحدد عمقها وطرق معالجة الارتفاعات لمستويات الارصفة عند اختلاف معالجة واجهات الابنية التي تطل على فضاء الشارع مما جعلها غير منتظمة مما ادى الى اعاقه حركة السابلة.
- 9 - عدم وجود ملامح مميزة لمعالجة البروزات لواجهات الابنية لعدم وجود ضوابط تخطيطية ومعمارية تحدد الارتداد والبروز ويتيح تحقيق واجهة تؤمن رصيف مغطى للسابلة امام المحلات التجارية بعمق يتناسب وحركة المتسوقين في كل الظروف المناخية مما افقد المنطقة المركزية ومحاورها تلك العناصر التخطيطية والمعمارية التي يفقدها التسوق في الفترة الزمنية المشمسة الحار والممطرة الباردة.
- 10 - تميزت ملامح الابنية التجارية الحديثة والمعاصرة بالنمط المنفتح نحو الشارع المستثمر في الواجهة الامامية لقطعة الارض ادى الى الاستثمار غير الاقتصادي.
- 11 - تحددت ملامح التوزيع الوظيفي للمنطقة التجارية وفق قوى السوق دون التوقيع الوظيفي الملائم للبيئة الصحية التي ادى الى تواجد وظائف غير متجانسة ومتوافقة مع متطلبات حماية البيئة كتوقيع محل لبيع اللحوم جنباً الى جنب ومحل لتصليح الاحذية او محل حلاقة جوار مطعم على سبيل المثال.
- 12 - تميزت ملامح المنطقة التجارية المركزية بخلوها من المناطق الخضراء والساحات العامة ومواقف السيارات.

- 13- تميزت ملامح المنطقة المركزية التجارية ببدا ظهور ظاهرة الاستغلال للبعد الثالث باستثمار المنطقة ابنية متعددة الطوابق ذات الاستعمال السكني بشكل عام وبعض الابنية التي استغلت للمكاتب الاستشارية الهندسية والمحاماة والعيادات الطبية.
- 14- تميزت العمارة الحديثة والمعاصرة بالانفتاح نحو الخارج والاستغناء عن الفضاء الداخلي المفتوح.
- 15- غياب المعالجات التصميمية الحضرية للمناطق من قبل الجهات التخطيطية والحكومية والجوء الى المعالجات المنفردة للمالكين مما ادى الى عدم التكامل الوظيفي والشكلي للنسيج الحضري.

التخصص الوظيفي وملامح المنطقة المركزية لمدينة درنة

نشأت المدينة على جانبي وادي درنة في حين نشأت المنطقة المركزية التجارية في الجانب الغربي منها ثم امتدت المنطقة الى الازقة وابتساع المدينة باتجاه مناطق توسع المدينة وتبعاً لذلك توسعت الرقعة المكانية للمنطقة التجارية المركزية وفقاً لحجم التوسع العمراني الجديد وبدأ ظهور المحاور التجارية الرئيسية باتجاه الحركة المرورية المؤدية الى مناطق التوسع كمحور عمر المختار والفنار والحشيش وشارع البحر والصحابة ومحور دارنس شيحة ودارنس شارع احمد الرفاعي.

وشهدت المنطقة التجارية تطوراً وظيفياً اذ تواجدت مناطق لاسواق تخصصية لنشاط تجاري وحرفي مميز ينعقد فيها تواجد السكن كسوق الظلام وسوق الصحابة على جانبي الوادي شكل رقم (5ة).

لقد تميزت المنطقة التجارية المركزية لمدينة درنة بشواخصها المعمارية المميزة عن غيرها من المدن ويمكن تحديد اهمها لجانب وادي درنة بالاتي:-

- 1 - جامع العتيق الذي يرتبط بتاريخ المدينة وعلماؤها ويتميز بنمطه الذي اعتمد النمط التكراري من الاعمدة القديمة والاقواس ورواقه الذي يطل على الساحة ويربطه بسوق الظلام والاسواق الاخرى.
- 2 - سوق الظلام المسقف الضيق بالنمط الخطي الطولي يتصل بنسيج المدينة القديمة بازقة على الجانبين وينفتح على ساحتي الحمراء والخرازين ،وهكذا تميز سوق درنة عن غيرها من الاسواق الليبية الاخرى.

- 3 - وادي درنة الدالة المميزة للمدينة والمنطقة المركزية في ان واحد اصبح معلما مكانيا تتمركز على جانبيه الابنية التجارية ويشهد حركة مرور مكثفة للسابلة والمركبات.
- 4 - جامع الصحابة والمقبرة الذي يمثل شاخصا تاريخيا ودينيا وعمرانيا مهما بالنسبة للمدينة ومركزها والذي يضم قبر الصحابي الجليل زهير بن قيس البلوي وسبعين صحابيا جليلا يعود تاريخهم الى 687 ف . يتميز بنائه برواقه الذي يطل على الشارع الرئيس والساحة العامة المقابلة للمسجد وساحته الداخلية التي يؤمها الناس بالمناسبات الدينية والرسمية اما الساحة العامة فمخصصة كموقف للسيارات وتستخدم ايضا للمناسبات ومباراة كرة القدم ايام رمضان المبارك.
- 5 - سوق الصحابة الذي اضحى هو الاخر شاخصا مكانيا مميزا بدات تتمركز حوله المحلات والخدمات التجارية وتتوسع منه باتجاه المحاور لتأمين متطلبات المدينة من الوظائف الجديدة التي يتطلبها نموها السكاني والعمراني.
- 6 - ساحة البريد القديم ملتقى شارع عمر المختار وشارع حشيش وشارع البحر حيث يوجد البريد القديم والمصرف التجاري ومبنى الاوقاف اصبح لها حضور ودلالة لابناء المدينة على حد سواء.
- 7 - ساحة دارنس ونادي دارنس الرياضي نقطة اللقاء بين المدينة القديمة وتوسعات المدينة الجديدة ترتبط بقلب المدينة التجاري بشارع عمر المختار والتي اضحت في الوقت الحاضر متنفسا ومحورا للتوسع التجاري.

الانماط المعمارية لاسواق درنة المركزية

- يزت المناطق التجارية بعناصر تدخل في التكوين الشكلي الوظيفي للسوق هي:-
- اولا: المركز الخاص للصرف والقضايا المالية وتتمثل نالبنوك ومحلات الصيرفة .
- ثانيا: القيصرية وهي مجموعة من الاسواق.
- ثالثا: اسواق الازقة ، كما ميزها المستشرق الفرنسي لويس ماسيون . وتطرق المستشرق الالمانى فون كرونبلوم الى مسالة التخصص السلعي والحرفي.

وميز سيمز ثلاث انماط من تراكيب الاسواق هي :-

اولا: شبكة الازقة المسقفة.

ثانيا : المباني التجارية الضخمة المسقفة والمغلقة باحكام وسط السوق تعرف بالقيصرية.

ثالثا :الخانات اضافة ال مجموعة من الحمامات .

ويرى فيرث لكل وظيفة اقتصادية في السوق تكوينها البنائي الخاص فالازقة المسقفة

مخصصة لتجارة المفرد والحرف والخانات التي جاءت للجملة اما القاعات المسقفة

فاستخدمت لتجارة الجملة والخزن وبيع السلع النفيسة . وتواجدت الساحات المكشوفة

للووظائف الاخرى.

وجاء السوق المركزي ليمثل التعامل التجاري الوحيد الذي يخلو من الناس ليلا واثناء العطل

لعدم وجود السكن. وهكذا نجد في المنطقة التجارية المركزية لمدينة درنة كغيرها من المدن

العربية الاسلامية تميزت بالانماط التالية:-

1 خمت السوق المسقف المتمثل بسوق الظلام.

2 خمت القيصرية التي تمثل الساحة الحمراء وساحة البزازين وسوق الخضار لاعتمادها

على الفناء الوسطي و الفناء المسقف.

3 خمت الوكالة الذي اعتمد التكوين الشكلي الخاص لوكالة الحصادي.كانت وظيفتها

الاساسية المحلات التجارية والمخازن لبيع الجملة واقامة التجار اضحت الان غير مستغلة

انظر شكل رقم (6) يوضح ما جاء الفقرات اعلاه .

4 خمت العمارة التجارية الحديثة والمعاصرة التي تميزت ببساطة تكويناتها الشكلية الهندسية

وهياكلها الكونكرتية وانهاؤها السمنتية بعناصر فتحاتها المنزلقة رأسيا لتؤمن احداها ظهور

الشمس والاخرى الهواء عند الحاجة . واعتمدت تكويناتها الشكلية خطوطا مستقيمة العمودية

والافقية باشكال هندسية بسيطة التكوين الشكلي العامة والعناصر. وتوضح الاشكال رقم (8-8-

12) ملامح المعمارية للمنطقة التجارية ومحاورها.

التطور التاريخي للأسواق

لابد من التطرق هنا للأبعاد التاريخية التي تميزت بها أسواق المدن العربية الاسلامية. إذ

اهتم الباحثون في مجال التخطيط الحضري بعناصر الاحتواء الوظيفي للسوق وأنماطه البنائية .

وقد ميز المستشرق الفرنسي لويس ماسيون ثلاث عناصر تدخل في التكوين الوظيفي لسوق

المدينة هي :

العنصر الاول : يتمثل في المركز الخاص بالصرف والقضايا المالية التي شملت الدواوين والصرافين ومركز جمع الضرائب ودار الضرب ودار المحتسب.

العنصر الثاني : القيصرية وهي مجموعة من الاسواق المنفتحة على الباحة الوسطية.

العنصر الثالث : سوق الأزقة سواء المسقفة او المكشوفة.

لقد تطرق فون كرونيلوم الألماني إلى مسألة تقسيم السوق فذكر الأشرطة التسويقية مؤكدا على مسألة التخصص السلعي والحرفي في القيصرية التي أعدها الجزء الوحيد من السوق المسقف بشكل منتظم يمكن غلقه والذي جاء متخصصا بتجارة السلع الثمينة. اما اليانور سيمس فقد ميز بين ثلاثة انماط من التراكيب المعمارية لاسواق المدينة اشتملت على الآتي:-
أولاً: أسواق الأزقة المسقفة.

ثانياً: المباني التجارية الضخمة والمسقفة المغلقة باحكام التي تقع وسط السوق تعرف بالقيصرية
ثالثاً: الوكالات والخانات اضافة الى مجموعة من الحمامات لما تفرضه الفرائض الاسلامية من نظافة تامة .

يرى ايوجين فيرث ان الوظائف الاقتصادية المختلفة للسوق لكل منها تكوين بنائي مختلف عن الآخر وفقاً لمتطلباتها. فالأزقة المسقفة مخصصة لتجارة المفرد والحرف اما الخانات فجاءت لتجارة الجملة وانعدام الفصل بين مقر العمل ومقر السكن ضمن المحاور التجارية الرئيسة ولمدينة درنة على الرغم من الاتجاه نحو التخصص الوظيفي للمنطقة التجارية المركزية لبعض مناطقها كسوق الظلام وتخصص بعض محاورها لتخصصات كالتصوير والاستتساخ وبيع الساعات والاحذية والصاغة التي وقعت ضمن رقعة مكانية محددة من المنطقة التجارية ويمكن تحديد ما تمتاز به اسواق مدينة درنة وفقاً لموقعها بالنسبة للمدينة وتخصصها الوظيفي الآتي:-

1 - سوق الظلام جوار الجامع العتيق جاء بنمط خطي طولي بنمط قيصري (اسواقالأزقة) السوق الرئيس للمنطقة التجارية المركزية بتخصص متنوع يطل مدخله على ساحة العتيق والآخر على شارع اسطة عمر صمم الى جانبه وكالة الحصادي المطلة على الساحة الحمراء بجوارها سوق الخضار بالنمط القيصري ، وساحة الخياطين بنمط الفناء الوسطي نمط وكالة الحصادي والخان المتمثل بالساحة الحمراء، شكل رقم (6-8-9).

2 - سوق الصحابة الذي تميز بنمط طولي خطي والباحة الوسطية المنفتحة محلاته نحو الشارع الا ان التصميم لم يوفق في استثمار الباحة الوسطية ولم يؤصل الباحة او النمط القيصري فجاء هجيناً بين المحلات المنفتحة نحو الخارج والفناء الوسطي الذي لم يستثمر بل جاءت مهمة فجاءت حركة السوق منفتحة نحو شارع الصحابة والشارع الخلفي للسوق حيث حركة المتسوقين بفناء رصيف الشارعين وباتجاه ساحة الصحابة المطلة على الوادي وساحة

السوق المسقفة غرب السوق . فجاء النمط كنمط الاسواق الغربية للشوارع التجارية والساحة الداخلية للحركة الثانوية وبذلك تكاد تكون مهمة ، شكل رقم (5-10-11-12) .

3 -الابنية التجارية للمحاور التجارية الرئيسة تمتد من السوق الرئيس كسوق الظلام والصحابة باتجاه الخارج والتي تميزت بثلاثة انواع :-

النوع الاول: المحلات التجارية التي اعتمدت الانفتاح نحو فضاء الشارع كسوق الصحابة.
النوع الثاني: المحلات التي اعتمدت النظام القيصري كوكالة الحصادي والساحة الحمراء.
النوع الثالث: المحلات التي اعتمدت الازقة المسقفة والمفتوحة ضمن بعض المحاور التجارية .
النوع الرابع : القاعات المسقفة استغلت لتجارة الجملة و الخزن وبيع السلع النفيسة كما تتواجد الساحات المكشوفة لتحتوي وظائف الاخرى. وجاء السوق المركزي ليمثل المقر الوحيد للتعامل الاقتصادي حيث لا توجد مساكن ، لذا تخلو من الناس ليلا وايام العطل وغالبا ما تغلق ككل او في اماكن جزئية اذ ليس للسوق أي نشاط او فاعلية في اوقات الفراغ خارج مواعيد العمل.
ولاحظ [ديتمان] انعدام الفصل بين مقر العمل ومقر السكن في مدن شبه القارة الهندية الاسلامية حيث يسكن التاجر او الحرفي مع عائلته خلف او فوق مقر عمله ، ولتلك المعالجة تأثير واضح على الواجهة المعمارية لابنية السوق حيث انها تتألف من عدة طوابق بينما ابنية السوق في مدن غرب آسيا لا يزيد ارتفاعها عن طابقين وبذلك تتنوع وتتعدد الوظائف والمعالجات التخطيطية والمعمارية للمناطق التجارية المركزية للمدن تبعا للبعد المكاني والاقتصادي وتتطور بالبعد الزمني للمدن. ولقد اعتمدت العمارة المحلية التقليدية نظام البناء الجداري الحامل وجاءت واضحة تكويناتها الشكلية وملامحها المعمارية وخصائصها مستمدة من خصائص المواد المحلية والامكانية التقنية المتاحة. فقد اعتمدت في الشرق الخشب والاجر في حين في مناطق اخرى التي يتواجد فيها حجر تكوينات شكلية وعناصر معمارية تتوافق ومدى تطويع المادة الحجرية لمعالجة الواجهات الجدارية وما تتطلبه من عناصر ورموز ودلالات تتوافق والتقنية المتاحة زمانيا ومكانيا مع استخدام مادة الخشب لمعالجة الأبواب والشبابيك وبذا استطاع المعمار تحقيق الملائمة والخصوصية المرتبطة بالبيئة المكانية المحلية.

اما المعاصرة فقد اعتمدت انماط متعددة للافاق الجديدة للامكانات التقنية التي اعتمدت مادة الكونكريت المسلح والهيكل الحديدية ساهمت في تطوير عمارة المناطق التجارية المركزية وتعددت طوابقها وتنوعت انماط عمارتها الحديثة والمعاصرة باعتمادها التقنية الحديثة كاستخدام المصاعد والهيكل الحديدية ساهمت في تطوير عمارة المناطق التجارية المركزية وتعددت طوابقها وتنوعت انماط عمارتها الحديثة والمعاصرة باعتمادها التقنية الحديثة كاستخدام المصاعد

لاستثمار البعد الثالث وظهور المراكز التسويقية المركزية في المدن الكبيرة التي تتسوق البضائع المتعددة والمتنوعة ضمن المبنى الواحد المتعدد الطوابق.

اسواق الازقة التجارية :

تتمثل في اشربة المحاور التجارية بازقة ذات امتداد طولي . تتألف من الدكاكين والمحلات التجارية والحرفية وتشكل وحدات تركيبية تكرارية متماثلة بنائيا تلاصق بعضها البعض وتفتح ابواب الدكاكين والمحلات على ممرات الحركة غير الواسعة ، وقد تسقف هذه الممرات عادة بأقبية ذات عقود من الطابوق الأجر او الحجر او القباب ذات الفتحات لتأمين الاضاءة والتهوية. وتكون الفتحات اما في الجوانب والقباب للطابق العلوي فوق الدكاكين والممرات التي تشغل احيانا بالمقاهي . وقد تسقف بالخشب او الهيكل الحديدي او صفائح الحديد المغلن او أية مادة بنائية تضمن الحماية من المطر او حرارة الشمس بنمط يوفر الاضاءة والتهوية. ووحدة التكوين البنائي للازقة التجارية التي تشكل السوق هي الدكان وفضائه الذي يتألف اساسا من الاحاطة بالجدران من الجهات الثلاث والسقف في حين الجهة المطلة على الطريق فهي غالبا مفتوحة بشكل عقد ، تلحق بالدكان عادة الخزانة اذا ما توفرت المساحة الكافية . وغالبا ما يكون سقف الدكان بشكل بيضوي . وتعالج الجدران احيانا بطاقات صماء تستخدم لوضع الحاجيات وهناك النمط المكشوف للازقة او المغطاة ببروزات بنائية كما في المناطق التقليدية القديمة التراثية ، والتي قد تكون بطابق او طابقين يستغلان للأغراض التجارية والخزن فقط وقد لوحظ ذلك في بعض الأبنية المتواجدة في سوق الخضار وسوق الظلام .

في حين يكون باب الدكان من الخشب بقطعتين او اكثر والعليا تستخدم كغطاء (ستارة) واقية للمحل من أشعة الشمس في الازقة غير المسقفة والتي يطلق عليها (كبنك) الكلمة التركية الأصل. و تتصف دكاكين الازقة بصغر مساحتها الذي لا يتجاوز عرض بعض منها اربعة اقدم أما تصاميمها فتتميز بالبساطة المتناهية والمرونة العالية مما يسهل تكيفها رغم المتغيرات المناخية والطارئة. ولقد كانت تصاميمها ناجحة من حيث التخطيط والاداء الوظيفي ومعالجة الحيز المكاني المحدد لمنطقة السوق ومن الامثلة على ازقة السوق في مدينة درنة سوق الظلام وسوق الخضرة.

القبصريات التجارية :

تمثل نمطا مميزا من الابنية التجارية التي اختصت بتسويق وتداول البضائع الثمينة التي تتطلب بعض المعايير والضوابط البنائية التي اعتمدت الابعاد التصميمية كاحكام المداخل على

سبيل المثال. ويرى كرونيلوم بان القيصريّة تطورت بالاساس من البازليكا الرومانية. في حين
اليانور سيمس تعدّها تركيباً خاصاً بالسوق الاسلامي لارتباطها بالمعالجة المناخية لاعتماد
الفناء الوسطي حيث تمثل الارتباط المكاني لنمط العمارة والنسيج العمراني للمناطق الحارة
وبصورة خاصة المنطقة العربية. وتمثل القيصريّة موقعاً مركزياً في قلب السوق يتألف مخططها
النموذجي غالباً من الفناء الوسطي للحركة مستطيل الشكل محاط من جانبيه الطويلين
بالدكاكين ويفصل بين الدكاكين فناء للحركة على شكل رواق ذو اعمدة. يسقف الفناء
الوسطي بالاقبية والقباب التي تحتوي فتحات اضاءة. تحتوي القيصريّة على ابواب في ضلعها
القصيرين تقفل باحكام ليلاً وايام العطل. وتتعدد المعالجات المعمارية للقيصريّة ذات الفناء
الوسطي المفتوح دون الرواق والنموذج الذي يعتمد الرواق المحيط بجوانبه الاربعه او قد تختصر
على احد جوانبه او بجانبين او ثلاث جهات من الفناء الوسطي وهناك النموذج المسقف للفناء
المفتوح لاي من النماذج الثلاث. وقد يكون التسقيف قيدا او قبابا او الهياكل التي تعتمد
الفضاءات الكبيرة كالهياكل الكونكريتية او الحديدية او الالمنيوم او المواد البلاستيكية وغيرها من
الحلول المعمارية المميزة . ويتواجد نمط القيصريّة في مدينة درنة وخير مثال على ذلك وكالة
الحصادي والساحة الحمراء وساحة الخرازين والتي تغلق ابوابها ليلاً . والقيصريات متعددة يمكن
ملاحظتها بالمدن الليبية الاخرى كطرابلس وبنغازي على خلاف المدن التركية التي تقتصر
اسواقها على قيصريّة ضخمة منفردة تعرف بالبديتان (Bedesten) المبنى او الغرفة الحصينة
ويمثل سوق الظلام قيصريّة ضخمة منفردة تشغل نسبة كبيرة من السوق الرئيس كمركز درنة
التجاري اذا اخذ بنظر الاعتبار غلق جميع منافذه ليلاً. وقد كانت للحركات المعمارية استثمار
لمفهوم القيصريّة واستثمارها بتأصيلها لابنية تجارية معاصرة استثمرت الفناء الوسطي او الفناء
الداخلي بشكل شريطي وباشكال متعددة لها ابواب بمدخل او بمدخل متعددة تغلق ليلاً لتأمين
الامان للسوق ضمن حدودها. في مدن متعددة ومثل بغداد والموصل والقاهرة وطرابلس وبنغازي
ومدن متعددة اخرى.

الخانات والوكالات

اعتمد التكوين الشكلي العام للخانات على الفناء الداخلي الذي يرتبط بالمعالجة المناخية للمنطقة
العربية الاسلامية عبر المراحل القديمة والحديثة. وجاءت الخانات على نوعين :-
الاول: يقع بالمنطقة المركزية التجارية للمدن ويحتل مركز السوق.
الثاني: يقع على الطرق الخارجية التجارية التي تربط المدن على مسارات رحلات الحج بشكل
خاص والقوافل التجارية بشكل عام خارج نطاق البحث.

ارتبطت الخانات في المنطقة التجارية المركزية للمدن بالوظيفة الاساسية بكونها مقرا لاقامة التجار والمسافرين. تتألف الخانات من طابقين او ثلاث واعتمدت التكوين الشكلي العام المربع او المستطيل ذو مدخل على شكل دهليز يؤدي مباشرة الى الفناء الداخلي المحاط بمجموعة من الفرق في الطوابق العليا . تتقدم الغرف اروقة مظلة على الفناء وتستخدم لمبيت النزلاء ، اما غرف الطابق الارضي مخازن وامكن لممارسة بعض الحرف كاسطبلات لقوافل المسافرين وتتخذ لها مواقع عند اطراف المنطقة التجارية المركزية مبتعدة عن المركز ، في حين عند اتخاذ جزء منها للنزلاء او سوق لبيع الجملة او لمقايضة البضائع تتخذ لها مواقع مركزية وفقا لنوع البضاعة التي يتم التعامل التجاري بها. فهناك خانات متخصصة لمبيت التجار والمسافرين وظيفتها الاساس فندق وفي العديد من المدن العربية الاسلامية ومنها مدينة الموصل شمال العراق. ويستخدم الاخر لممارسة بعض الحرف او التبادل التجاري لبعض السلع مثل خان مرجان ببغداد وخان القلوين وخان السواد وخان الكمرك (الخان الكبير) الذي يعود الى اوائل القرن الثامن عشر الذي جاء تكوينه الشكلي العام غير منتظم بتنظيم فضائه الداخلي وله مدخلان مقنطران يؤديان الى الفناء الوسطي ، وجاء بنائه بطابقين يضم (68) غرفة و(45) خزانة و له ثلاث اروقة واربعة اوابين يحتوي الطابق الارضي ثمانية عشر دكانا قنطري المدخل ، مدخله الاول له امتداد عمقي بنظام القيصرية محور المدخل الرئيس والمدخل الثاني يحتوي سبعة سالام للصعود ، واعتمدت القيصرية المعالجة المعمارية النمطية التكرارية العالية للواجهات الداخلية للمحلات والغرف في حين الواجهة الخارجية المعالجة الجدارية الانغلاقية والفناء الوسطي اعتمد للحركة والانتقال الافقي والعمودي المعالجة موفقة للتوزيع الوظيفي والملائمة المكانية المناخية البيئية المتكيفة محليا. وجاءت معالجاتها دون الكلف العالية وتتم بسهولة وتؤدي الحركة العمودية الى ثلاث اروقة واربعة اوابين بالطابق الاول والثاني، شكل رقم (13). وتمثل وكالة الحصاي احد النماذج المميزة للنمط المعماري الذي اعتمد العمارة الجدارية والمغلقة نحو الخارج والمفتحة نحو الداخل باعتمادها الفناء الداخلي حيث اعتمد توقيع المحلات ومخازن المواد واقامة التجار.

الخصائص التخطيطية للمنطقة التجارية المركزية:

للتعرف على الخصائص التخطيطية للمنطقة المركزية التجارية لمدينة درنة لابد من دراسة الابعاد التاريخية التي ارتبطت بها المدينة كغيرها من المدن العربية الاسلامية ويمكن تحديدها بالاتي:-

اولا: الحياة التجارية وارتباط السوق بالمسجد مركز الحياة الحضرية للبيئة العمرانية والحياة الاجتماعية للمدينة العربية الاسلامية ومنها مدينة درنة . ومن ثم يبدأ في التدرج حول

الجامع والابتعاد عنه حيث يبدأ بباعة الكتب ومجلدوها فالاسكافيون والنجارون والخياطون ثم الدباغون والصباغون. ولفت ذلك النمط من التوزيع انتباه الباحثين على الرغم من تعدد الآراء حول الموضوع في حين وقعت بالقرب من البوابات للمدن الصفارون وباعة السروج. وتلك الظاهرة الخاصة بارتباط السوق بالمسجد قد أشار إليها المستشرق الفرنسي جورج مارسيس في مقالته (التمدن الإسلامي) . ويرى الدكتور عبد الجبار ناجي أن تصور مارسيس كان متأثره بمدن شمال أفريقيا كفاس وتلمسان وسالي و مدينة درنة أيضا إحدى مدنها انظر شكل رقم (14) . واورد فون كرونيلوم نفس التدرج للأسواق في مقالته ((تركيب المدينة الإسلامية الذي جاء به جورج مارسيس مؤكداً على المسجد كنواة للمركز التجاري والاجتماعي للسوق، تلك الظاهرة العامة في سائر مناطق العالم الإسلامي . وكذلك في دراسة اليانور سميس التي ورد فيها نفس التدرج والتي بعد المسجد وظيفيا مشابها للساحة (Agora) ، في دراسته لعمارة الابنية التجارية الإسلامية (Architectural of Islamic Word). في حين رأى الجغرافي الألماني ايوجين فيرث رأي آخر مختلف إذ يرى من النادر أن يكون القرب من المسجد الجامع ذا قيمة في التقييم المكاني. ولكن لكثافة واتجاه المشاة دور حاسم بالنسبة للتمييز بين الأماكن وتحديد قيمتها التجارية ومواءمتها المكانية الوظيفية. ونتيجة لذلك فإن التنظيم المكاني في السوق هو في أغلب الحالات نتيجة للقوى الاقتصادية. وتتحدد بعض الأماكن بعوامل أهم كما هي الحال بالنسبة للحرف المسببة للإزعاج كالرائحة أو الضوضاء أو التعرض لخطر الحريق.

ثانياً: ظاهرة ارتباط الأسواق بالازدحام المروري والسابلة مكانيا عندما لا يكون هناك أهمية لتواجد الجامع أو منشآت تقوم مقامه كما جاء في بناء المدرسة المستنصرية في بغداد التي كان دورها مشابه لدور المسجد الجامع كنواة للمركز الاقتصادي والاجتماعي أو تواجد الجامعات ومحطات النقل العام بالمدن المعاصرة.

ثالثاً: ظاهرة ارتباط السوق بقصر الحاكم منفصلا عن المسجد الجامع في فترة الحكم العثماني عندما كان مقر السلطة الحاكمة يمثل مركز النشاط الاقتصادي في فترات سابقة إلا أنها تعتبر حالة خاصة متميزة أعدها ريمون متعلق بجذور تاريخية موهلة بالقدم قبل الفتح الإسلامي يحتمي بها المواطنون عند الشدائد ولقد ولدت عاملا نفسيا اجتماعيا دعا إلى الارتباط والقرب من مقر الحاكم يستمر إلى ما بعد الفتح الإسلامي وما تلاه إذ أصبح مقر السلطة يقوم بدور النواة للمركز الاقتصادي والاجتماعي.

رابعا : ظاهرة ارتباط المنطقة التجارية بالمؤسسات والدوائر الرسمية التي تمثل الوظيفة الناطقة بمقر الحاكم في المدينة المعاصرة بعد أن غادرها إلى مواقع أخرى من المدينة لإسباب عديدة سواء الامنية أو النفسية أو الاقتصادية أو التطور التقني الذي أتاح سهولة التواصل والاتصال

بمركز المدينة. فأصبحت المنطقة المركزية التجارية مرتبطة ومتلازمة ومتداخلة ومتواصلة والمنطقة الحكومية والإدارية على الرغم من وضوحها مكانيا ووظيفيا إضافة الى بقاء ارتباطها بالمسجد الجامع في مركز المدينة بوظائف متداخلة وأضحى ذا استعمال مختلط كالسكن والأبنية الثقافية والترفيهية العامة والحكومية والإدارية والمنطقة التجارية المركزية الجزء المهيمن لمركز المدينة.

خامسا لم تعتمد المعالجات المعمارية للأبنية التجارية الحديثة والمعاصرة النمط القيصري او الفناء الوسطي لاستثمار عمق الارض للطابق الارضي ذو الاستعمال التجاري بل اعتمدت المعالجة استثمار الواجهة الامامية لقطعة الارض مما اضحى الاستثمار التجاري للمنطقة التجارية غير اقتصادي باقل استثمار للارض.

سادسا: لم تعتمد ضوابط محددة لتحديد المناطق الوظيفية للمنطقة المركزية التجارية والمحاور لتأمين الملائمة المكانية الوظيفية من الناحية البيئية فجاء التوزيع الوظيفي للمحلات التجارية ، فجاء توقيع بعض الوظائف الغير مرغوب بها بمواقع اكثر ملائمة للوظائف الاخرى او تجاوز وظائف تؤثر احداها بالآخرى

سابعا : خلو المنطقة المركزية التجارية من المناطق الخضراء والساحات العامة بل واقتصرت على ساحتين غير مشجرتين هما ساحة العتيق وساحة الصحابة التي تستغل كمواقف للسيارات او ساحات للعب الاطفال والكبار في كثير من الاحيان.

نمط العمارة المعاصرة لمدينة درنة

تميزت عمارة مدينة درنة التقليدية باعتماد الفناء الوسطي وخير مثل على ذلك وكالة الحصادي التي انفتحت نحو الداخل ونحو الساحة الحمراء في حين انغلقت عن الشارع في الجهة الشمالية بجدار اصم وهناك دور سكنية هي الاخرى بالمنطقة القديمة التي تطل على الشوارع الفرعية المتصلة بسوق الظلام التي هي الاخرى اعتمدت الباحة الوسطية والانفتاح نحو الخارج والانغلاق نحو الشارع للطابق الارضي

في حين اعتمدت الابنية الجديدة التي تم افرازها في السبعينات بطابع جديد تميز بالانفتاح نحو الخارج والاستغناء عن الباحة الوسطية بنظام اعتمد السرداب (البادرون) في الطابق نصف الارضي واعتماد الطابق الاول للوظائف الرئيسية للوحدة السكنية للمعيشة والمطبخ واستقبال الضيوف في حين جاءت العمارة التجارية باستثمار الطابق الارضي للوظيفة التجارية والطوابق الاخرى للسكن او للوظائف الاخرى التجارية كالمكاتب والعيادات الطبية والفنادق وغيرها من الاستعمالات التجارية . وهكذا جاءت العمارة بنمط جديد

يعتمد استثمار الفضاءات الوظيفية المفتوحة نحو الخارج قد ساهم في الانفتاح الاجتماعي وتوافق مع البيئة المناخية المعتدلة التي تسمح بانفتاح الداخل نحو الخارج وبذلك تميزت نوافذ الابنية بوظائف ثلاث هي الانغلاقية باستخدام البنجر والانفتاح الكلي نحو المناخ الخارجي بفتح نوافذ كلياً لرؤية الفناءات والمناظر الخارجية واخيراً الانغلاق عن الخارج سواء عن الامطار او الرياح او الحرارة الخارجية فاضحت العمارة تتميز بالمرونة والمطاوعة والتكيف البيئي للمتغيرات مما ساهم ايضاً في حرية استخدام التكوينات الشكلية المرنة ومن هنا نلاحظ توافق نمط العمارة المرنة ولنظام الهوردي الذي شاع في المدينة لما له من حرية في تغيير الفضاءات الوظيفية سواء اثناء عملية البناء او بعدها. وعلى الرغم من ذلك تحافظ العمارة الحديثة والمعاصرة على وجود فضاء مفتوح ضمنها كانعكاس لضرورة وجود الباحة الوسطية بأي شكل من الاشكال.

النمط التخطيطي للمنطقة المركزية التجارية لمدينة درنة :

تميزت مدن شمال افريقيا بالتأثير التاريخي العميق بالحضارة الفينيقية المتأثرة بالحضارة اليونانية ولتمائل مناخها وخاصة الساحلية منها بالمعتدل الذي اعطى امكانية وبعد كبير في تأثرها بالنمط التخطيطي الشطرنجي الذي اعتمد الباحة الوسطية مع الانفتاح الى الداخل والخارج بالنسبة للابنية الذي انعكس على نمط النمط حيث جاء لنمط الشطرنجي المربع الشكل والساحة الوسطية والساحات الاخرى وفق وظيفتها ضمن المدينة يتدرج هرمي لذا نلاحظ من النسيج الخاض بالمدينة القديمة هذه الظاهرة بشكل واضح حيث نجد الساحة الرئيسة لجامع العتيق وتتمدد بالساحة الحمراء وساحة العتيق وساحة وكالة الحصادي او الفناءات الوسطية المتعددة للنسيج العمراني السكني المحيط بسوق الظلام الذي يمثل مدينة درنة القديمة ونجد ذلك التأثير واضح في الاحياء الجديدة لمنطقة شيحة التي افرزت الوحدات السكنية لكل اربعة دور تحاط بفضاءات لجميع جوانبها مما جعلها تشكل نمطاً مميزاً الشطرنجي الرباعي الشكل التكراري على الرغم من كونه نمط يكلف البلدية كلفاً عالية لمعالجة الفضاءات الخارجية الخاصة بالشوارع المحيطة بتلك الوحدات السكنية والتطور الحديث اتجه الى النمط الشبكي المستطيل الذي يعالج مشكلة الفضاءات الخارجية والتقليل من نسبها ضمن النسيج الحضري للمدينة . ولا بد هنا من الاشارة الى ضرورة دراسة للتطور في التموين الشكلي والتغير في النمط الحضري لتحقيق التكامل والتوافق البيئي للبيئة العمرانية للمدينة ومتطلبات ساكنيها سيما وان مدينة درنة تتميز بتاريخ عريق وتجارب تمتد عبر مئات السنين ولها مناخ قلماً تتميز به مدن اخرى المناخ المعتدل صيفاً وشتاءً.

نمط التكوين الوظيفي التجاري لاسواق درنة :

تمثلت المنطقة التجارية الوظيفية لمدينة درنة باسواقها التي جاءت وفق تدرج وظيفي تجاري حيث تمثلت بالوظيفة التجارية الرئيسية في سوق الظلام الذي يمثل قمة المركز التجاري للمنطقة المركزية التجارية والتي تمثلت بقمة الانشطة التجارية بمحلات بيع الذهب والساعات والاقمشة والملابس والاحذية بشكل رئيسي في سوق الظلام . لقد جاءت بمحلات صغيرة منفردة متعددة بنظام خطي طولي نظام الزقاق الا وهو سوق الظلام بتخصصاته التجارية ومحلاته المتعددة بزقاقة الضيق المسقف . وقد حصلت تطورات وظيفية تجارية ومتغيرات لنمط التوزيع الوظيفي التجاري فاضى لها ضمن المنطقة المركزية تخصص لمركزها وامتداداته فجاءت الوظيفة التجارية لشارع اسطة عمر متميزة بالمطاعم والفنادق والمحلات الغذائية والمكاتب الخاصة بالحاسبات الالكترونية والمكتبات ومحلات بيع الملابس الصغيرة والكبيرة واتجهت نحو استثمار عموم بعض الابنية للطابق الارضي ضمن المحاور التجارية المرتبطة بالمنطقة التجارية المركزية وامتداداتها كمحور سوق الظلام سوق الصحابة ومحور سوق الظلام دارنس ومحور سوق الظلام وادي درنة باتجاه البحر ومحور تقاطع دارنس باتجاه البحر وتقاطع دارنس باتجاه شiche الغربية وبذلك جاء التكوين الشكلي للمنطقة التجارية المركزية بشكل اخطبوطي شعاعي تتمركز المحلات التجارية ذات الكفاءة العالية ذات المردود والدخل العالي على الرغم من صغر مساحتها وبثمن ايجار عالي بمركز المدينة وتتخصص بالوظائف المناطق المجاورة للمركز والمحاور بالوظائف الاخرى التجارية والتي تتطلب مساحات اكبر من المركزية وباقل ايجار لها ولا تتطلب توقيعا مركزيا . وهاكذا كلما ابعدت الوظائف التجارية عن المركز تحتل المحلات مساحات اكبر بايجار اقل للمتر المربع مما يؤثر في تميزها الوظيفي عن المركز وفي النمط التكويني الوظيفي والشكلي لاسواق درنة ضمن المركز او خارجة ويتوضح ذلك وبشكل واضح في الخارطة رقم (14) . حيث تعدد المحلات والدكاكين بالمركز بنسيج ناعم لسوق الظلام قلب مركز المدينة بخلايا صغيرة لبيع البضاعة الثمينة كالذهب والساعات في حين الاسواق الابعد من المركز تتميز بمساحتها

الأكبر خارج سوق الظلام وضمن المحاور التجارية بتدرج هرمي واضح من حيث قيمة الأيجار للمتر المربع الواحد وأحجم النشاط التجاري .

الاستنتاجات

تميزت المنطقة التجارية لمدينة درنة التي تعود لفترات زمنية متعاقبة بعدد من السمات التخطيطية والصفات المعمارية .منها ما كان مشترك مع أسواق المدينة العربية الإسلامية الأخرى ومنها تمتلك خصائص منفردة بالمنطقة والمدينة في رسم الهوية المتميزة لها ، منها :-

1 ظاهرة ارتباط السوق الرئيس بالجامع العتيق وإحاطة السوق له وتدرجه الوظيفي واتساعه لمحاور متعددة تتجه باتجاه اتصال الرقعة المكانية لمركز المدينة بهيكلها العمراني وإقليمها وعموم القطر .

2 تخصص السوق الرئيس بالوظيفة التجارية الخالصة التي اقتضت على النشاط التجاري المحدد كسوق الظلام ، وسوق الصباحة وقيصرية الخضار المتصلة بالساحة الحمراء وسوق الظلام .

3 التخصص التجاري المتنوع والمتعدد السلع للشوارع التجارية وإزقة التسوق .

4 ظاهرة عدم الملائمة المكانية لمواقع بعض الوظائف المجاورة لنشاط غير ملائم من الناحية البيئية والصحية كمحل لبيع الأسماك جوار محل لبيع الملابس أو جوار محل لتصلح الأحذية جوار محل لبيع المواد الغذائية الذي يتطلب أبعاد الاستعمالات غير الملائمة أو غير المرغوب توقيعه جوارها .

5 جاءت معالجة أرصفة الشوارع التجارية معظمها غير موفقة لاستيعاب حركة السابلة، فليس لها معايير تخطيطية وضوابط بنائية تحدد فضائاتها وسعتها ومعالجة مستوياتها المتغيرة، إذ لا تتوحد ارتفاعات ابنياتها وامتداداتها وبروزاتها .

6 العجز الواضح في تأمين مواقف السيارات إذ تعتمد عموم المنطقة على الوقوف ضمن فضاء الشارع (street parking) مما أدى إلى إرباك حركة السابلة والحركة المرورية للمركبات ضمن المنطقة التجارية وخاصة شارع الاسطة عمر .

7 ضم المركز التجاري أنماط متعددة من العمارة التجارية التاريخية المتميزة مثل الوكالة والقيصرية والأزقة المستغلة كسوق وبعض ابنية الشوارع التجارية. جاءت بمعالجات تصميمية بارعة راعت محدودية الحيز المخصص للسوق ووفرت أماكن للبيع والخزن بأسلوب ملائم مع التأكيد على المبادئ التسويقية للعرض والخزن ومراعاة البيئة المكانية المناخية لبعض منها ومثل

هذه المعالجات يمكن تبنيها في التصاميم المعمارية المعاصرة وتطويرها لمواجهة المشاكل التخطيطية والمعمارية المستقبلية التي تواجهها المدينة والمنطقة التجارية ومعالجتها.

التوصيات

- 1- معالجة التكوينات الشكلية والتخطيطية للمنطقة المركزية للسوق ومحاوره التجارية وعمارتها وفق ابعاد تخطيطية ومعمارية تستثمر تطور نمط تكوينه الشكلي الخطي وامتداداته المستقبلية ونقاط دلالات ارتباطه المكاني والتاريخي والفكري وناخذ بنظر الاعتبار جامع العتيق وسوق الظلام ووكالة الحصادي والابنية الاثرية الاخرى لتأمين نمو نشاطه التجاري وامتداده الافقي لرقعته لمجاورة المكانية للسوق لمعالجة تأمين متطلبات التوسع المستقبلي المتوقع للمنطقة التجارية والتي بدأت تتسع باتجاه الغرب.
- 1 -التاكيد على رسم مخطط عام للمنطقة المركزية التجارية لتحديد التخصص الوظيفي وتشجيع الاسراع في تحقيقه بدأ من سوق الظلام باتجاه المحاور التجارية والاستعانة بالتخطيط العمراني والبيئة وصحة المدينة لمعالجة ظاهرة عدم الملائمة المكانية الوظيفية وتحقيق الملائمة المكانية لها وفق الابعاد العلمية التي حددتها الصحة العالمية
- 2 -التاكيد على استغلال الابنية وفق التنوع الوظيفي المختلط الملائم باستغلال الطابق الارضي للاغراض التجارية والطوابق الاخرى للسكن اضافة الى الاستعمالات التجارية الاخرى ضمن المنطقة المركزية التجارية لمركز المدينة .
- 3 -ضرورة دراسة المنطقة التجارية والشوارع التجارية لمعالجة حركة السابلة ومحاروها وفضاءاتها وتحديد الارتداد والبروز والارتفاع لفضاء الشارع ، ومعالجة الكتل البنائية وارتفاعاتها ونسبة بنائها والفضاءات العامة للمنطقة التجارية لمركز مدينة درنة.
- 4 -ضرورة اعداد دراسة لمواقف السيارات لتأمين متطلباتها وحاجة المنطقة التجارية المركزية لمعالجة الازدحام المروري الناجم عن عدم تأمينها واعتماد المعايير التخطيطية الخاصة بها
- 5 -اعداد دراسة خاصة بالضوابط البنائية والمعمارية لابنية المنطقة التجارية المركزية لتحديد نسب البناء وارتفاعات الطوابق والبروز والارتداد ومواد البناء للنهوض بالمستوى المعماري لابنية المنطقة التجارية المركزية .
- 6 -دعم وتشجيع التوجه نحو اعتماد تطوير الانماط المعمارية التراثية كالقيصرية والخان وزقاق السوق لمعالجة الابنية التجارية المطلة على الشوارع التجارية باطر معاصرة

لتحقيق الاستثمار الامثل للقطع التجارية لتحقيق التداخل العمقي المكاني للسوق دون
استغلال الواجهة بعمق محل او دكان واحد .

المصادر:

- 1-فاروق عباس حيدر، "تخطيط المدن والقرى"، توزيع منشأة المعارف بالاسكندرية ،جلال حزمي
وشركائه ، الطبعة الاولى . 1994.
- 2-روبرت فنتوري ،التعقيد والتناقض في العمارة، ترجمة سعاد عبدعلي مهدي، مراجعة د.احسان
فتحي ،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد . 1987.
- 3-د.عبدالباقي ابراهيم ،تاصيل القيم الحضارية في بناء المدينة العربية الاسلامية المعاصرة،
مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، القاهرة .، 1982.
- 4-د.محمد عبد العال، استاذ العمارة جامعة الاسكندرية، " البيئة والعمارة"،دار الراتب الجامعية
العدد (5).
- 5-الشمري،د.ناصر صالح مهدي، اسلوب تحديد التطور العمراني لبعض مراكز المدن العراقية،
رسالة دكتوراة ،كلية الهندسة -جامعة بغداد،. 1994.
- 6-د.عبدالسلام شلوف ،مدينة الوادي، مجلة الثقافة العربية.
- 7-د.عبد الرحيم حسين علي،قيصرية النقيب في مدينة السليمانية" دراسة في اسلوب التسوق
المستوطنات الحضارية القديمة في العراق جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق عدد
(5)، 1994.
- 8-د.عبد الجبار ناجي ،دراسات في تاريخ المدن الاسلامية في الدراسات الاجنبية، مجلة المورد
المجلد 9 العدد 4، بغداد . 1998.
- 9-احمد قاسم الجمعة، اصالة المعالجات المعمارية والتخطيطية في الموصل خلال العصور
العربية الاسلامية، في اصالة المعالجات المعمارية والتخطيطية عند العرب،جامعة بغداد ،مركز
احياء التراث العلمي العربي،. 1986.
- 10-مكتب الانشاءات الهندسية، العمائر الخدمية في مدينة الموصل .، 1982.
- 11-Gallon, S. Eisner" Urban Pattern", HPA,AICP, Van Nostrand ,R.co.,
New York, 1986.
- 12-Sir Banister F."History of Architecture", Architectural press, DAN
Cruickshank ,20 Ed.,1996.
- 13-Ian ,L.McHarg," Design with Nature"Doubleday ,Natural ,History
press, Garden City, New York,1978.



- 14-Doxiadis Associate , C. Engineers," Derna Master Plan".
15-Van Gronebaum ,G,E, "the Structure of the Moslem Town in Islam
Essaya in Nature and Growth of a Cultural Tradition 2nd ,1961.

pdfelement